تمهيد :

لقد تحدثنا في الدروس السابقة عن الصورة وطبيعتها وهيمنتها في الوقت الراهن وعن مختلف استعمالاتها المتنوعة في مختلف المجالات، كما حاولنا عرض بعض التعاريف المرتبطة بالصورة وعلاقتها بالتمثيل وللإدراك والمشابهة والتجاور، المماثلة، بالتجربة الذاتية، الواقعية، الفنية، الايديولوجيا.

تشير الصورة، بشكل عام : على أنها ظاهرة بصرية تتميز بأن لها تشابه مع الشيء أو الموضوع الذي تمثله. كما يشمل مصطلح الصورة أيضا، ذلك التمثيل الرمزي، الدي يمتلك علاقة مماثلة أو تشابه إدراكي مع الشيء أو الموضوع. بهذا المعنى ، يمكننا أن نعتبر الصورة كتقليد أو محاكاة لموضوع أو شيء ما ، سواء تم إدراكه من خلال البصر أو الحواس الأخرى (صورة صوتية ، لمسية ، إلخ).

يستدعي الحديث عن الصورة الحديث استحضار المفاهيم التي وظفها الكثير من الباحثين والتي ترتبط بالحقيقة والواقع والتمثيل الجزئي والكلي وبسلطة الصورة وهيمنتها... فالبعض منهم يشير إلى أن الصورة تحافظ على علاقة مع الموضوع أو التمثيل "الحقيقي". أي أن الواقع المرئي التمثلي ليس سوى جزء من هذا العالم، أو بتعبير أخر يشكل "صورة للواقع" ، فالصورة الفوتوغرافية على سيل المثال بكل أشكالها وانواعها هي صورة للواقع تشبه الحدث "الحقيقي". يتعلق الأمر كله بدرجة التشابه مع الموضوع الأصلي. لكن هناك من ذهب عكس ذلك بالقول أن الصورة ليست حقيقية، إنها فقط جزء من الحقيقة المدركة بصريًا، إنها "عينة من هذا الواقع". فهي تعتمد على وجه الخصوص على قصدية الشخص المصور أو ايديولوجية الوسيلة الاعلامية أو حتى المؤسسات خاصة التجارية منها، فصورة لرمز المؤسسة (المميز التجاري) على سبيل المثال ليس "تسجيلا أو نسخا للواقع" يشكل جزاء من استراتيجية انتاج الافكار والترويج لها، كما يدخل في دائرة المجال التسويقي باعتباره عنصرا ومصدرا للانفعالات والسياقات المرجعية، يمكن ان تشير الصورة في هذه الحالة إلى :الامتداد التاريخي والعنصر الطبيعي، القوة، الحيوية... ، فهي بذلك انعكاس لوجهة نظر خاصة وتدخل في مجال عملية "الاختيار القصدي" لطرق التمثيل والتركيب وتوظيف الاشكال التعبيرية وطريقة العرض واختيار زوايا التصوير وطبيعية اللقطات والتأطير...، وهنا تحدث الباحثين عن اشكالية التشابه مع الشيء أو الموضوع الحقيقي في جوهره القيمي وبعلاقته بالتمثيل الرمزي الذي يتجاوز التشابه الإدراكي. فالصورة في هذه الحالة، تكون عملية تقنية لنسخ الواقع والتمثيل لحقائق من طبيعة بصرية مع التركيز على طبيعة العلامات البصرية، وهذا ما يشكل الادراك المباشر لها خارج القصدية الفعلية وخارد دائرة الفهم الرمزي والدلالي، لذلك يجب الحديث عن جوهرها الرمزي، الذي يعير الاعتبار للمعنى العميق والايحائي والذي يتعدى الموضوع الممثل و أشكال إنتاج الدلالات المباشرة، معنى أن الادراك البصري يشكل عملية مباشرة للفهم والرؤية، أما البعد الرمزي لا يهتم بالموضوعات المباشرة والجاهزة وهذا ما يفرض توظيف المجال التحليلي ونشاط الوعي والثقافة والنقد...

وما يهم بشكل جوهري، في هذا الاطار، اعتبار الصورة كأداة للاتصال ولها أبعاد رمزية متنوعة، صحيح انها تريد استحضار شيء ملموس بصريًا أو شيء من الواقع أو حتى من المتخيل ، لكنها تمنح لمختلف الوقائع والاحداث والتمثيلات وجودا أخر يتعدى التمثيل المباشر والتجلي البصري بتوليد وانتاج خطابات ومعاني وقيم دلالية ضمنية استنادا إلى التركيز على بعض التفاصيل وبعض الوحدات التعبيرية كالألوان والضوء والاشخاص والكتابة ....

فالصورة ليست مجموعة من الأشياء التمثيلية التي تهدف إلى تقديم معلومات وأخبار وعرض الوقائع ومختلف الاحداث قصد تحقيق نوع من التواصل وتوظف معطيات ترتبط بالعناصر التشكيلية فحسب، فهي إلى جانب ذلك، عبارة عن بناءات ايديولوجية ورمزية، تختلف معانيها باختلاف السياقيات وأهداف الحدث وقصدية الفاعل أو المصور، وبهذا فإن المعنى المرتبط بها، يكون نتيجة لعمليات سيميولوجية- تأويلية، و البحث عن "حقيقة" وراء الصورة والظاهرة المباشرة. تتمثل القوة المعرفية للمقاربة السيميولوجية هنا في قدرتها على الانفتاح المعرفي والمنهجي لتحليل الأعمال التصويرية المتنوعة، ومعرفة كيفية انتاج معانيها وتحولها، استنادا إلى سلسلة من القواعد الفنية والاشكال التعبيرية والعناصر التمثيلية والمجازية وحتى المجردة... فهي لا تعتمد على معايير دلالية وصفية فقط، بل تتمدد لتشمل تحليل المستويات الدلالية . لذلك، يجب استحضار مجموعة من التصورات والاعمال السيميولوجية لمعرفة كيفية الولوج للمعنى وكيفية التعامل مع ما بعد الصورة، والتقرب من معرفة الأشياء التعبيرية والتمثيلية للصورة بشكلها الموضوعي أو الايديولوجي، خاصة في الوقت الراهن أين نعيش في زمنية الواقع المعزز والافتراضي وفي زمنية "التواصل المستمر للصور" في الشاشات والتلفزيون واللوحات والهواتف المحمولة وفي الشبكات الاجتماعية ....

انفتاح التصورات المنهجية على التحليل السميولوجي:

إلى جانب تعدد معاني الصورة وكثافة معانيها، فإنها أيضا تطرح العديد من المشاكل والانشغالات في مقاربات ومناهج التحليل وتظهر أغلبها بصفة معقدة في العناصر المشكلة لميكانيزمات الدلالة والإقناع وطبيعة التأويل. لذا سنحاول رصد بعض المقاربات المشهورة التي تنطلق من زاويا معرفية وإيديولوجية متنوعة ومنها :

1. النموذج الخطي لرولان بارث:[1] Modèle binaire de Roland Barthe

انطلاقا من اقتراحات الباحث والناقد "رولان بارث" ، فإن التعيين (الشيء الدال أو المعنى التعييني)، (le dénote ou sens dénotatif)، يشمل ذلك الموضوع أو المشهد الذي تمثله الصورة بشكل مباشر ، أو الذي يمكن أن تقوم بتمثيله بطريقة حرفية، تختزن كل ما يدخل في (القراءة الحرفية)، أما التضمين فيمكن الإقرار بأنه يتشكل ضمنيا من كل ما يمكن أن يوفره لهذا الموضوع أو الشيء من قيم رمزية أخرى وأفكار تتعدى إطارها البديهي...، كذلك يندرج هذا التصنيف في التجربة الإنسانية وفي المعطيات البصرية، الفوتوغرافيا والتشكيل الفني... وفي الفيلم ايضا. وخلافا لإطار التعيين الذي يقترب من تعيين تاريخ القصة التي يرويها الفيلم حرفيا، أي بصورة حرفية –تقريرية-(littéralement)، في حين ينتظم التضمين في الجوانب الرمزية أو الجمالية المرتبطة بالمعالجة السينماتوغرافية(اللقطات، الألوان، زاويا التصوير،...) وبكل عناصرها المساهمة في انتاج وتشكيل المعنى . وبهذا، فإن التضمين لا يتعلق بالقراءة الحرفية الخالصة للرسالة، لكنه يقود إلى تأويلات مختلفة. والأصل في هذا التمييز بين التصنيف الإخباري والتصنيف الرمزي الذي أشار إليه "بارث " في دراسته المشهورة "بلاغة الصورة 1964" الذي عرف نجاحًا في الدراسات السيمائية اين قام بطرح تساؤلات فرعية: كيف يولد المعنى في الصورة ؟ وكيف يأتي إلى الصورة؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات ولتبرير طبيعة عناصر البلاغة التعيينة والتضمنية قام بارث بمراجعة قدرات الطاقة التركيبة والتمثيلية للصورة بتحليل إشهار يرتكز على منتوج "عجائن بانزني".[1] كما ركز على مجموعة من المستويات في التحليل:

– **مستويات الصورة:** ترتكز الصورة حسب بارت على تلاحم وتناسق ضيق لأنساق ثانوية سيميولوجية يتم إدراكها بصفة متعاقبة ولكن يمكن ترتيبها بصفة هرمية.

1. الصورة التعينية:(l'image dénoté) : المستوى التعييني:

وهذا المستوى الأول يمكن الإشارة إليه "بالحالة الأدمية للصورة" « l'état adamique de l'image» وفي هذه الحالة س تكون الرسالة غير مدونة، أي تكتفي بتسجيل المرجع في المواضيع التي تمثلها

---

[1]– Jean- Michel Adam, Marc Bonhomme, **L'Argumentation Publicitaire, Rhétorique de l'éloge et de persuasion, L'analyse des divers aspects du discours publicitaire**. Éd, Armand Colin, 2005.. P 176.

[1]–IBID. Op. Cit. P 177 .

(علاقة ترابطية). وبالعودة إلى حالة إشهار "بانزراني" الذي حلله "بارث" بمقاربة سميولوجية، نلاحظ أن هذا المستوى يجسد ويقدم مدلوله من نفس الكيانات والاشكال المساعدة في الطبخ والاستهلاك الموجودة في الحقيقية. وبهذا الشكل لا يوجد تحول بين الدّال ومدلول المستوى التعييني. فقد تسمح على سبيل المثال التجربة الميدانية والثقافية لحبة الطماطم في الصورة بالإدراك الفوري لحبة طماطم أيقونيا فقط، أي التعرف على شكلها الطبيعي وفقط. بعبارة أخرى، ترتكز على التسجيل الموضوعي للعالم، كما أن الصورة التعينية في هذه الحالة، ستشكل « درجة الصفر في الوضوح وفي المعنى » ،..فهي تقوم على تجسيد عنصر التماثلية والوظيفية المرجعية الإستشهادية والمشهدية المباشرة بأبعادها الحسية والادراكية البعيدة عن المفهوم الدلالي العميق.

2. الصورة التضمنية: المستوى التضميني :

يشمل هذا المستوى على عناصر أخرى، كالمدونة " وعبقرية المعنى" " والسياق الرمزي" وهذا يتم أساسا بإدخال المدلولات التضمنية الثانوية والثقافية على دلالات المستوى التعييني، والعودة إلى التصورات الفكرية والابعاد البلاغية المتنوعة لفهمها. لقد أعطى بارت "بعض الأمثلة عن "اشهار بانزاني" الذي درسه بشكل رمزي وبلاغي، وبهذا سيدل اختلاط الخضر كالطماطم والفلفل... بأبعادها التشكيلية المحكومة بالعرض اللوني أي بحضور ثلاثية للألوان(الأصفر ،الأخضر الأحمر) على ايطالية ومرجعية الإشهار الإيطالي. إضافة إلى ذلك، فإن التركيب الكلي لهذا التضمين الدلالي، تشمل الحقل الإيديولوجي الواسع، أي له علاقة مع عناصر وقيم أخرى خارج عنصر التمثيل ويمتلك المعنى في المرجع الثقافي ،[1] لأن تركيب المدلولات في الصورة التضمنية يكون بالمرجعية الثقافية والمعرفية والقيمية وليس الطبيعة. تكون المعاني التي في الصورة التعيينة غير واضحة، أما في المستوى الثاني (التضمنية) ستكون حسب تقديرات "بارث "واضحة لأنها قائمة على استعادة كل الموضوعات والتصورات الفكرية والثقافية والإدراكية وعلى تعدد قراءة الصورة.[3]تفرض هنا تجاوز مستوى التعبير لتشمل الاستعمالات الاستعارية التي تعيد تنظيم الأشياء والوحدات الدالة والعلاقات بين الاشياء والاشكال...خارج التصنيف التقريري المباشر. والدلالة وفق هذه القراءة، تكون باستمرار في ارتباط دائم بالمجتمع والتاريخ وبثقافة الفرد والسياق ... وهكذا، فالقراءة لا تأتي من عدم، وهي ليست أيضا معطي طبيعي بل محصلة ثقافية وتاريخية ترتبط معرفة القارئ واللغة الواضحة، وهكذا يكشف "بارث" عن الأدوات الإجرائية لمقاربة الصورة مقاربة بنيوية شكلانية إلى حد ما.[3]

---

[1]–IBID. P 178.

[2]– عبيد حاتم: **في تحليل الخطاب**، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، صفاقس، تونس، 2005، ص ص 232، 233.

[3]- أحمد يوسف: : **التحولات السيميائية، الخطاب البصري، السينما والفتوغرافيا الايقونية**، مجلة كتابات معاصرة، العدد 32، 1997، ص 18.

3. المستوى الألسنى : الرسالة اللسانية :

إلى جانب المستوى التعيين والتضمين، يضيف "بارث" رسالة أخرى والمتمثلة في "الرسالة اللغوية"(Message Linguistique) يقتضي نشاطها ضمنيا الاهتمام **بوظيفة الترسيخ و المناوبة،** فالوظيفة الترسيخية تشير إلى تحديد وتثبيت المعنى الصريح وتوضيح رمزية الصورة وحصر كثافتها الإيحائية مع تأكيد عناصرها، يتيح النص إمكانية ضبط المستوى الصحيح لإدراك الكل .أما الوظيفة الثانية، فوظيفتها تتجلى في الأشكال التعبيرية التكميلية والتي تتضمن حضور التنويعات اللغوية الأخرى في النسق البصري. توفر معلومات عن تكاملها مع الصورة. وهذا ما يسمح بالنظر إلى دراسة "بارث" بنظرة عمودية لا تنحصر في مجال الصورة والصورة الفوتوغرافية وحسب، بل إنها دراسة سيميولوجية للغة في حد ذاتها ولا سيما أنه يستعير من بنيوية دي سوسور ثنائيات اللغة والكلام ليطبقها على الموضة والأثاث والسيارات. فالعنصر الأول يشير إلى وجود مجموعة كافية من الدلائل (دال)، تمتلك صفات الشمولية والعمومية والرسالة الثانية تملك طابع تحليلي للرسالة الأولى، ويتم الوصول إلى الغاية من الصورة من لحظة إدراك العنصر الثاني (المدلول) بمعرفة البنية الحقيقية للرسالة .

2-2-1. مقاربة رومان جاكبسون: النموذج العام للاتصال.

لقد اقترح اللغوي "رومان جاكسون"(Roman Jacobson) في تحليله للمسار التواصلي دراسة للعلائق بين الشاعرية واللسانيات بنظرية عامة تنطلق من الاتصال اللفظي والعودة إلى مختلف الوظائف اللسانية المرتبطة به وهو في الأصل نموذج يسمى أحيانا "باللسانيات الوظيفية". وبدون شك، إن مخطط الاتصال الذي نقدمه : قد عرض كنموذج عام للأبحاث التواصلية الحديثة وبهذا قد استندت عليه العديد من الأعمال السيميولوجية والإشهارية .[1]

يقدم هذا النموذج عناصر ترتبط بتعدد السياقات السوسو-ثقافية ويتعلق الأمر بمعطيات تحولاتها وبممارسة تتضمن العناصر الخطابية- التواصلية للمرسل والمتلقي . انطلق " جاكسيون" من الأسس العلمية الحديثة لنظرية التواصل في تحليله اللسانيات الوظيفية ليصل في الأخير إلى تصور نظري متكامل لكل وظائف الرسالة اللغوية، فكل "فعل تواصلي لغوي" **يتشكل من ستة عناصر أساسية هي:** المرسل، المرسل إليه، الرسالة، السياق، الشفرة والقناة ويتجاوز هذا التصنيف بتقديم وظيفية لكل عنصر، بمعنى يصدر عن كل واحد من هذه العناصر بعد وظيفي لساني خاص :فعن المرسل تصدر «**الوظيفة التعبيرية(expressive) الانفعالية**، وهي تهدف إلى التعبير المباشر عن وضعية الذات، وتعطي انطباعًا عن انفعال ما. وهي وظيفة تتمحور حول المرسل و حول ذات التلفظ. إن الوظيفة التعبيرية بهذا البناء الوظيفي، ترتكز على المرسل: إذ تسمح له بالتعبير عن اتجاهه

---

(1)– Jean- Pierre Meunier. Daniel Peraya, **Introduction Aux Théorie de la communication**, 2édition , de Boeck, 2004.. P 74.

انفعاله، ووجدانه (son affectivité) ، ويقترح "جاكسيون" إضافة حالات التعجب إلى هذه الفئة (الشكل اللساني الأكثر خصوصية) وكل العلامات الصوتية،(accentuelles) ، النحوية (grammaticales) والمفرداتية(lexicales) التي تظهر الطاقة الانفعالية للغة. كما تتمحور أشكالها النحوية التعبيرية على فعل النداء"vocatif" ، تترجم هذه الوظيفة الاتصالية إرادة المرسل التأثير على المرسل إليه.[1] حيث تحيل عادة في التعبير الاشهاري، إلى ما يريد المشهر تقديمه لنفسه وتجسيد أنظمة قيمه أو قيم المؤسسة ويمكن أن يستخدم هنا مثلا شخص معروف مثل النجم أو الخبير ليتكلم باسم المؤسسة..... وعن المرسل إليه تصدر **الوظيفة الندائية**، وتسمى أيضا الوظيفة التأثيرية: تنصب على المتلقي، ويهدف المرسل من ورائها إلى التأثير على مواقف أو سلوكيات وأفكار المرسل إليه؛ و تجد تعبيرها الخاص في ضمائر المخاطب وأساليب النداء والأمر والاستفهام أو التمني أو في الأساليب الخبرية والإنشائية.....، تتمحور هذه الوظيفة بصفة مركزة، حول الآخر الذي يتلقى الخطاب. وعن السياق تصدر الوظيفة « **المرجعية**» "**référentielle**" التي تحيل إلى واقع مرجعي خارج البعد اللساني، بتجسد العلاقة بين الدليل والموضوع الخارجي وتعتبر من بين أهم الوظائف في العملية الاشهارية، [2] لأنها تحدد العلاقات القائمة بين الرسالة والموضوع الذي ترجع إليه، أما قناة التواصل، فهي تهدف إلى **إقامة التواصل**(**الوظيفة الانتباهية**) والحفاظ عليه وإثارة انتباه المتلقي. وتدخل في هذا الإطار أشكال التعبير اللفظية كالمجاملة....أو صيغ التعبير الايقوني لإدراك الصورة ومحتوى الرسالة. يقوم الاشهار مثلا في هذه الوظيفة، بالتركيز على أصل الرؤية لجسم النجم، أو إعطاء دور للنظرة –للعين–.

وعن القناة تصدر « **الوظيفة الميتا–لغوية**» (**méta– linguistique**) وهي وظيفة حاضرة ضمنيًا في كل تواصل، خاصة اللغوي و ترتكز على السنن، وتسمح للأفراد بالتأكد من استخدامهم للشفرة نفسها. كما تقوم الرسالة "**بوظيفة شعرية**" "**poétique**" التي تتجلى في التكرارات الصوتية والدلالية ومختلف الأشكال الشعرية المتكررة مثل الجناس والقافية والتصريح والتشابه والاستعارة.... كما أن الوظيفة الشعرية تركز على الرسالة نفسها(le message– lui –même) وتوضح الجانب الحسي للإشارات والعلامات وكل الظواهر الأسلوبية التي تشير إلى مادية الدليل« matérialité de signe » مثل العروض (prosodie) الجناس(allitérations) السجع، (assonance) .....[3] .أو من خلال

---

[1]–IBID. P 76.

[2]–عبد الواحد المرابط: **السمياء العامة وسيمياء الأدب، من أجل تصور شامل**، منشورات مشروع البحث النقدي ونظرية الترجمة، وحدة النقد الأدبي والحديث والمعاصر، ط 1 / يونيو 2005 ، المغرب ، ص 47.

[3]– Jean-P. Meunier , D. Peraya ,Op . Cit. Pp 76 -77.

تحويل الاهتمام من العناصر الخارجية الحقيقية والإيحاء إلى التكاثف الدلالي. هكذا يرسم فعل التواصل اللغوي باعتباره بنية وظيفية سداسية العناصر و هي:

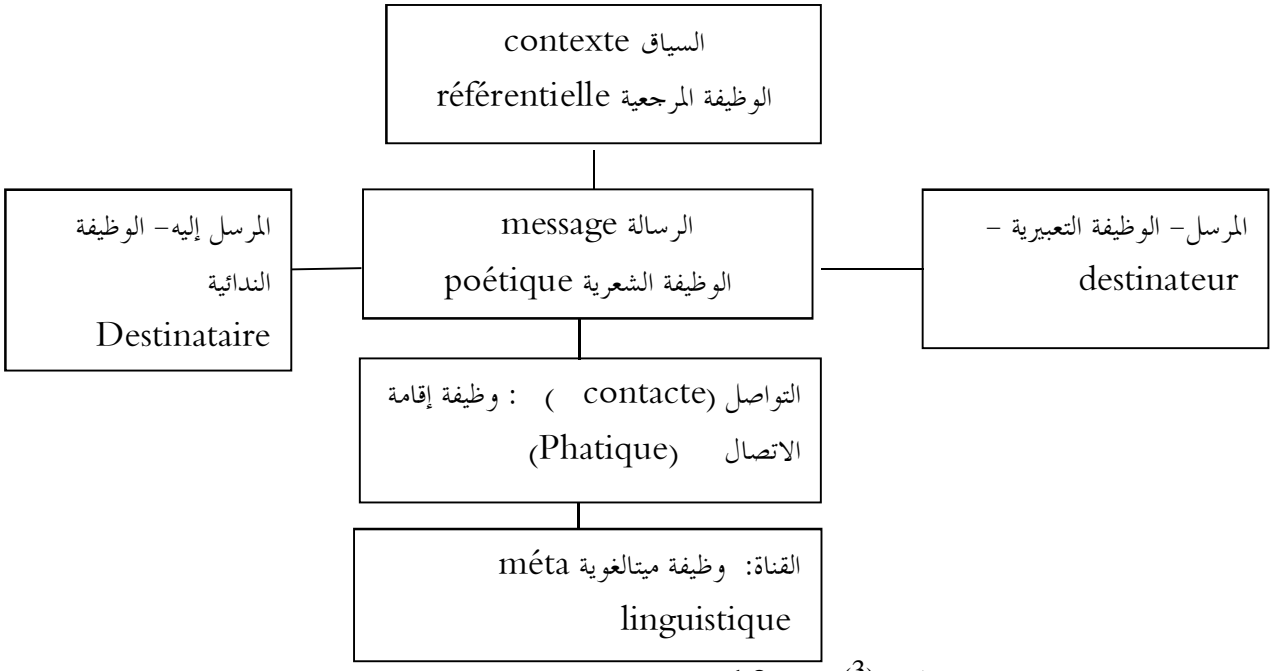

الشكل:[3] رقم (10) يوضح وظائف الاتصال حسب "رومان جاكبسون"

3. مارتين جولي وتمفصل المعني في الصورة الثابتة:

إلى جانب المقاربات السيميولوجية التي تطرقنا إليها من قبل في تحليل الصورة بصفة عامة والصوة الإشهارية بشكل خاص، يمكن أن نستحضر أيضا أعمال الباحثة "مارتين حولي" (Martine Joly) التي ساهمت بمقاربة تبقي شكلية وتقنية للبحث عن المعنى خاصة في الصورة الثابتة، وهذا بإقامة العلاقة بين عناصر ومستويات تحتوى على مواد تعبيرية لا تنفصل ضمنيا عن الشكل الكلي للموضوع، وبالتطرق إلى الرسالة البصرية من خلال التمييز بين الدلائل التصويرية والشكلية والدلائل الايقونية، ويتم ذلك بالرهان التطبيقي على عنصر المماثلة الذي يجسد الطابع الإدراكي والتشابهي وعلى السنن التمثيلية والدلائل البلاستكية(الشكلية) كالألوان الأشكال، التركيب... [1]، فهي مقاربة تحليلية تقوم على مراحل ومستويات وتركز في نظامها على العناصر المشكلة للصورة.

لا شك أن "مارتين جولي" كانت تهدف إلى إنتاج معرفة تخص الاشتغال السيميائي الأيقوني كخطوة أولى ثم التوجه نحو معرفة أشكال ومعنى الرسائل البصرية وأيضا معرفة الاستراتيجيات الخطابية البسيطة والجوهرية. لقد أسست بحثها المعرفي انطلاقا من إدراك مغاير للدلائل ولمستويات اشتغالها، وبعبارة أخرى، وطفت مقاربة

---

[1]- IBID. P 75.

[2]- Martine Joy, **Introduction à l'analyse de l'image**, OP. Cit . Pp 61-62.

مغايرة عن المقاربات الأخرى التي ذكرناها سابقا، وركزت في تحليلها على مصطلحات متعددة ، ترها "جولي" أساسية لمعرفة بلاغة الصورة، لأنها تحد ضمنيا من مغامرات التأويل الواسع بتجميع المعارف وتأملها بإمكانيات بصرية وفكرية ترتبط بالمحتوى المقدم وبسياقات التمثيل والتشكيل، ولعل كتبها "مدخل إلى تحليل الصورة " Introduction à l'analyse de limage " من المراجع التي تتضمن إجراءات تحليلية لبعض الصور الثابتة، بحيث بينت في بلاغة الصورة الإشهارية لمنتوجات "ماربورو" منظومة بلاغية وفكرية متفاعلة تتمفصل في مجموعة من الدلائل والمدلولات المتنوعة. تشمل على البعد الايقوني والبلاستيكي واللغوي وعلى البعد البلاغي الذي يحيل إلى عالم الرجولة والقوة والهيمنة والفردانية والصمود...، ويكون التأويل في هذه الحالة مرتبطا بمعرفة البعد الثقافي والسوسيو ثقافي المركب للمشاهد . كما أن الصورة الإشهارية، تمتلك في ثناياها خصائص دلالية منبعثة من أصل الأشكال الألوان، الخطوط، الفضاء، الوضعيات.... ترتكز في تحليلها على تقاطع ثلاثة أنواع من الدلائل(المستويات) [1] المتباينة شكليا والمتكاملة نسقيا وهي:

1. **المستوى الشكلي:(signes plu plastiques):**

يتكون هذا المستوى من مختلف عناصر الصورة الشكلية والتصويرية، أي كل ما ينتمي : إلى الألوان، الأشكال، التكوين الداخلي، الإطار(cadre) الدعامة(support) التأطير، زاوية التقاط الصورة، الإضاءة وكل ما يدخل في نسيج العلامات، وهذا المستوى يبقى خاصًا بالإدراك الحسي للرسالة البصرية.

2. **المستوى الأيقوني:**

يتعلق هذا المستوى بكل أنظمة الدلائل الأيقونية التي تقود إلى استحضار معارف أصلية، مكتسبة، ثقافية، مجردة ... ولا يمكن فصلها عن مكونات تشكيل الصورة، وعن ما تشير إليه ضمنيا بأبعاد ايحائية عديدة ومتفرعة، غالبا ما تتجاوز نطاق المماثلة المادية للموضوع المنقول. وتقترح "مارتين جولي" في هذا المستوى التطرق إلى: الموضوعات المصورة مع وصف دقيق لأجزائها الحاضرة والغائبة وما تحمله من أبعاد تعبيرية محددة في السياق السوسيو-ثقافي، والتطرق أيضا إلى وضعية النموذج" la pose du modèle" بطريقة خاصة معتمدة في عرض الموضوعات(الوضعيات) وتوزيعها داخل مجال الصورة وتحديد أبعادها التي تحتكم إلى ضوابط التشكيل وحضور الأشياء، وضعيتها، العلاقات والروابط الممكنة بين الأشياء والمواضيع..... فوضعيات بعض الشخصيات مثلا في علاقاتهم ببعضهم البعض يمكن تأويلها انطلاقا من معطيات اجتماعية تأخذ بعد تواصلي محدد (علاقة عائلية حميمية أو علاقة عدائية)[2]..وفي هذا المستوى تتحدث "جولي" عن العلامة التي تأخذ البعد الازدواجي بين الشكلي / والايقوني باعتبارها علاقة تفاعلية محددة لإنتاج الدلالة الكلية

---

[1]– IBID.Pp 73-93.

[2]– عبد العالي يوطيب: **بلاغة الخطاب الاشهاري ، في كتاب أليات الخطاب الاشهاري ورهاناته**، مرجع سبق ذكره، ص ص30، 31.

للصورة المرئية وهي في نواتها دائرية تمر من الشكلي ووصولاً إلى الأيقوني أو العكس[1] ويمكن الإقرار أن هذا المستوى يعبر عن تأويل الوضعيات والتمثلات بواسطة العملية الإيحائية.

3. المستوى الألسني:

لقد لحظت الباحثة، أن الدراسة اللغوية التي تساعد في إنتاج الدلالة والبلاغة دراسة مهمة ولا يمكن الاستغناء عنها. ولذلك، فهي تشترك مع "بارت " في مسالة حضور اللغة في الصورة وفي أشكال التواصل الأخرى لأن دورها الجوهري يتجاوز بذلك عناصر التلفظ لتقوم بوظيفة الإرساء والترسيخ وتضيف الباحثة إلى اللغة الدور التوضحي بتطرقها إلى العناصر الشكلية اللغوية التي تساهم في إنتاج المعنى، مثل طريقة الطباعة(الأخرى) لون الكتابة، حجم الكتابة ...الخ.

والواقع، إن من يعاين مقاربة "مارتين جولي" بالتدقيق في بحثها السيميولوجي يستحضر بعض معالم التفكير التحليلي والنقدي الخاص "برولان بارت"، فالمستوى الأول الشكلي الوصفي هو نفسه تقريبا المستوى التعييني الذي تحدث عنه "بارت "أما المستوى الثاني "لمارتين لجولي" الخاص بالأيقوني الذي يرتبط بنيويا بـــالمستوى الشكلي فقد تطرق إليه بارت أيضا في تحليله للمستوى التضمني، تكمن نقاط الاختلاف في الممارسة الجديدة للباحثة التي تقوم على تسجيل المضامين الدلالية في مستويات مفصلة، أي اتبعت طريقة التحليل التي تستثمر فيها عناصر "تقنية" وتأويلية بإتباع نموذج تدريجي وتصنيفي الذي يسمح بتشكيل المعنى. وفي السياق ذاته، تقترب الدلالة التضمنية "لمارتين جولي" في سعيها إلى تفكيك الصورة الاشهارية من أعمال "بارت" ولكنها اقترحت مجالا منتظماً للتحليل بإتباع مستويات خاصة في التحليل ، مما يجعل من أطروحتها مرجعًا مفيدًا للدراسات السيميولوجية خاصة للصورة الثابتة.

المقاربة التوافقية : من التحليل التصويري إلى العميق

يمكننا القول، أن المقاربة السيميولوجية رغم تنوع جذورها التأصيلية، إلا أنها تكسب صفات وظيفية تسمح لنا بوصف وتفسير كيفية اشتغال دلالة الرسائل بمختلف أنواعها، وهذا بالعودة إلى فهم كيفية إنتاج وتوليد المعنى وهذا بضبط التنظيم الدلالي والانتقال من المستويات التي يعتبرها الباحث جون ماري فلوك (J. Marie. Floch) كتحولات تؤثر في دلالة التمثيل والتعبير، يخص المستوى الأول:

- **البعد التصويري(figuratif)**، يشمل المضامين التي تعود إلى كل ما يتعلق بالتشكيلات الخطابية والايقونية القابلة للظهور وهي مرتبطة بعملية الإدراك الحسي. يتحدد البعد التصويري (الشكلي) في التساؤل عن طبيعة المضامين التي تعود إلى الحواس وإلى كل ما يمكن إدراكه .

---

[1]–Martine Joly, **L'image et les Signes**, Op. Cit. P 143.

- **البعد الثيمي –الموضوعاتي** (thématique) ويخص هذا المستوى البناء الذي ينظم الوحدات التشخيلية والتعبيرية المتصلة بالمضامين القيمية المتنوعة كالذوق والصفات النوعية. وهذا يقود إلى تشخيص البعد التصويري في مجال التنظيم الثيمي-بشكل محايث (يقتضى بالضرورة تحديد موضوعه).

- **العنصر الثالث المستوى القيمي**: الذي يهتم بالهوية التي تستثمر أيضا البعد الثيمي والتصويري، [1].

يدخل في البعد الثالث "البعد القيمي "الذي يولد موضوعات لتتحول إلى سلوك دلالي، بعبارة أخرى، يتحول الموضوعي بالفعل إلى وجود قيمي، "القيم الكامنة والعميقة". وفي هذا المسار تقريبًا عرف "أمبرتو إيكو" هذه المقاربة قائلاً، أنها تقنية البحث .[*]تكون نتيجة لبناء يقوم على التفاعل (l'interaction) المترتب عن مختلف الأشكال الدالة، وتوفر على وجه الخصوص وسائل نظرية وتطبيقية تسمح بتحليل الخطابات التي تنقلها وسائل الإعلام خاصة المرئية التي تنتج قيماً، وحسب تعبير "رولان بارث" هي أبحاث لها مضامين مختلفة "Contenus différents" [2] وتستند على تحديدات فكرية و تملك قانونا مشتركًا يتلخص في الاهتمام بدراسات علوم القيم (sciences des values).إن الأمر يتعلق باستجلاء مكونات الصورة المجردة في إطار بناء علائقي يمكن أن تستثمر مجموعة من القيم وهذا لا يكون إلا بالعودة إلى المستوى الشكلي، المستوى التركيبي والمستوى الدلالي، هذه المستويات تساهم في إنتاج المعاني وتبحث في كيفية اشتغال الخطاب من خلال انبثاقه من عمليات السيرورة التي تنتج الدلالات وأنماط وجودها، فهي مستويات قد لا تعبر عن نفسها بشكل صريح، فهي تختفي في أشكال العرض و في تفصيل مكونات الصورة، وهي العنصر الأساسي الذي يحدد مضمون دينامية البناء الخطابي.وهي تشكل في نهية المطاف علاقات تفرض علينا قراءة اجتماعية و ثقافية وتمكننا من بناء أثار المعنى ومعرفة كيفية توليده، تقودنا هذه الاستراتيجية بشكل واضح من التصنيف الظاهري التقني التي تركز على تمظهرت الأبعاد التعبيرية الدلالية والمساعدة في التحليل التأويلي، أي الانتقال من حالة السرد السطحي إلى التعبير العميق.

---

(1) – Jean- Marie Floch, **Identités Visuels**, PUF, France, 1995. Pp 17-18.

(*) -La sémiotique est aujourd'hui une technique de recherche qui réussit à décrire le fonctionnement de la Communication et de la signification.

(2)-R, Barthes , **Mythologie**, édition du Seuil, 1957,p184.